



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن ولاة أجمعين

أيها الأصدقاء، أيها الأحبة،
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ "إيلاف قريش. ايلافهم رحلة الشتاء والصيف.
فليعبدوا رب هذا البيت. الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف" صدق الله
العظيم.

لقد جمعت هذه الآيات الكريمة معاني وأحداثاً، ووقائع ودلالات، تتجاوز الحدث التاريخي
المركزي الذي أُخبرت عنه بوصفه من مكرمات قريش، ودلالة خالدة على مكانتها ومنزلتها
بين العرب.

لكن اسمحو لي في بداية الحديث أن أتطرق إلى الجائحة الكونية - عنيت "الكوفيد19"
كما تسمى-، والتي أصبحت الآن تُعرّف بتحد يبلغ الحرب على الوباء وعلى الجائحة،
ودرجة الحرب هذه تُذكرني بأننا نناضل ضد الوباء وضد الأمراض من أجل مستقل
افضل، لا نحارب أو نشن الحرب لأن الحرب شنت علينا من قبل هذه الجائحة.

للمرة الأولى ربما في التاريخ الإنساني، نوقن أن للحياة البشرية ركنين هما اللذان
تحدث عنهما القرآن الكريم: (أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)؛ الكفاية
المعيشية، والأمن الحياتي.

أيها الأصدقاء،

بالعودة إلى الرحلة التي ذكرها القرآن الكريم، كمحطة مركزية لحياة قريش ولدورها،
(رحلة الشتاء والصيف)، والمقصود بها تاريخياً الرحلتين اللتين كان يقوم بهما تجار
قريش قبل الإسلام، في الصيف إلى الشام لاعتدال مناخها، وفي الشتاء إلى اليمن
لدفتها، وما انبنى عليهما من تعزيز الشعور بالأمن في جانبيين: الجانب المادي (أطعمهم

من جوع)، والجانب الرعائي والصحي (وآمنهم من خوف)... إنها الريادة والرعاية والثقافة في أتم وجوها.

هكذا كانت رحلة الشتاء والصيف، نقطة وصل ما بين الجنوب والشمال للقاء في المركز، سواء للحج وزيارة البيت الحرام أم للتجارة والتبادل أم للثقافة والبلاغة.

أيها الأصدقاء،

عندما نتحدث عن الخوف أو الترويع يقودنا الحديث إلى مفاهيمه المختلفة، مثل: الارهاب البيولوجي Biphobia وعكسه من التواصل مع الطبيعة والكائنات الحية biophilia؛ تدهور الطبيعة وعكسه حب الطبيعة، وغيرها من الفوبيات مثل الخوف من المجهول، والخوف من القادم، ومن من "الأخر" سواء أكان هذا "الأخر" دين، معتقد، أمة، قبيلة، أو في وضعنا الراهن "وباء"، أو حتى الخوف من حرب نووية؛ نحن نتحدث عن الجائحة وهناك من يتحدث عن الصدمات المالية - حيث يتحدث البعض في هذا العامل واقتصار قدرات البنوك على الدين - فهناك انقسام أو انفصام مادي ومعنوي.

وعندما نتحدث عن الجوع فإننا نتحدث عما كان يسمى بالحرب على الفاقة (العوز). والتجارة الآن أصبحت مهمة أيضاً بما تحققه من تفاعل وتواصل يتخطى الحدود. وفي الآية الكريمة (أطعمهم من جوع) يمكن تفسير الجوع في يومنا هذا ب: جوع الصحة، الغذاء، التعليم، الملاذ، الماء ولربما يمكن إضافة الطاقة. كل هذه المكونات تخدم الكرامة الانسانية وتُفَعَّل وتُمكن الانسان من المشاركة في الحاضر والمستقبل.

أقول؛

في 21 أبريل / نيسان، أصدرت الشبكة العالمية لمكافحة الأزمات الغذائية وشبكة معلومات الأمن الغذائي التقرير العالمي لعام 2020 بشأن الأزمات الغذائية. وأشار التقرير إلى أن 318 مليون شخص في 55 دولة يعانون من انعدام الأمن الغذائي الحاد وهم على وشك الجوع الحاد. وتشير بعض الدراسات إلى أنه إذا قمنا بقياس الجوع وفقاً لسعرات الحرارةية المحفزة للنشاط المكثف فإن الرقم الفعلي - قبل الوباء

العالمي - كان سيكون أقرب إلى 2.5 مليار. ويشير التقرير إلى أن أسباب هذا الجوع هي الصراع المسلح والتغير المناخي والاضطراب الاقتصادي. ويضيف التقرير إن المزيد من الناس قد يعانون من انعدام الأمن الغذائي الحاد نتيجة "الكوارث أو الصدمات، مثل جائحة الكورونا" وقبلها سارس وميرس وغيرها-. ويخشى نصف سكان العالم من الجوع نتيجة هذا الوباء.

ووفقاً لمنظمة العمل الدولية فإن ما يسميه صندوق النقد الدولي "الإغلاق الكبير" أرسل 2.7 مليار شخص إما إلى بطالة كاملة أو قريبة من البطالة، وأن عديد من الناس على مقربة من الفقر واليأس؛ فهذه أبعاد الجائحة التي شملت القارات الخمس.

يقول جوزيف بوريل، الممثل السامي للاتحاد الأوروبي، عن فترة ما بعد كورونا: "إذا أردنا حقاً أن نطور عالم المستقبل، فيجب علينا تعزيز التكامل والتعاون الدولي والحلول متعددة الأطراف، - وتداخل النظم بين أطراف المعادلة: صحة تربية ووقاية اجتماعية - لأن الحلول الأحادية أو الثنائية لن تأتي بنتيجة مرضية". وأضاف هنا أن منظمة الصحة العالمية منذ عام 1945 كان هدفها أن تصل الخدمة الصحية الممكنة إلى الجميع، لكن هناك فرق بين منظمة الصحة العالمية ومنظمة الجائحة العالمية. ويتابع بوريل أن "البلدان النامية ستتحمل العبء الأكبر من جوانب متعددة لهذه الأزمة، حيث يمكن أن يكون الأثر الاقتصادي في بعض المناطق أسوأ من العواقب على الصحة العامة". ويضيف إنه "ربما لا يمكننا صنع السلام في الحجر الصحي لكن علينا أن نكون أكثر نشاطاً ضمن هذه الضوابط".

وهنا أقول؛ إنني شاركت وشخصيات عالمية من مركز نظامي كنجافي في توقيع رسالة موجهة إلى مجلس الأمن لدعم نداء الأمم المتحدة العاجل لوقف إطلاق نار عالمي فوري كي نتمكن من تركيز الجهود لمجابهة هذه الجائحة، وبخاصة أن العمل والشراكة أمر حيوي للتعامل مع هذا الوباء وأن على المؤسسة المسؤولة عن قيادة الأمن العالمي التصدي للتهديد الذي يمثله هذا الوباء للسلم والأمن العالميين، ولربما من الصعب تحقيق هذا السلم والأمن في ظروفنا الحالية من القتل والاختلال، ما يرتب عواقب كارثية على الضعفاء والمهمشين والنازحين واللاجئين وغيرهم، والأمثلة كثيرة على ذلك في هذا العالم، مثل الروهينغا واليمن وسوريا وليبيا والصومال وغيرها. إن 80% من لاجئي العالم من

المسلمين. وبلدي الأردن يعترف بأن ربع سكانه من اللاجئين أو المُرحّلين. وأقول أن المبادرات الثنائية التفضيلية لا تخدم غاية، ولا بد أمام هذه الجائحة الكونية من حلول قومية أو اقليمية تُعطي لكل أقليم من هذا العالم واجبات ومسؤوليات.

إننا بحاجة إلى خريطة طريق لعملية انتقال ناجحة وسلسلة من البُعد الإنساني إلى البُعد التنموي؛ أي إعادة توجيه تبعدنا عن "الصوامع" و"عقلية الأزمات" إلى نموذج الكلي، العابر للحدود، والتنمية، والتمكين للجميع دون استثناء. على الإنسانية بأسرها أن تتحد وتنسق الجهود وتشارك المعلومات والمعرفة للخروج من هذه الفاجعة العالمية، التي أصابت الجميع دون تمييز بين الأغنياء والفقراء، والشيوخ والأطفال، وكذلك بين الأعراق والألوان والمعتقدات؛ والقاعدة المعرفية إذا يجب أن تكون نقية وشريفة وفوق المساءلة.

هذا الأصل، يقودنا حكماً للحديث عن التدابير لمنع الأزمات، وعن خطط الاستجابة في حال وقوعها. إذا اعتبرنا أننا أمام حرب عالمية جديدة ضد وباء اجتاح العالم، فلا بد أن نتساءل هل باستطاعتنا في إطار استيعاب البُعد العالمي الأشمل لهذا التحدي أن نصمد بالجدية اللازمة والصبر المطلوب لنخرج من متوالية الأزمات الماثلة أقوى من ذي قبل؟

أيها الأصدقاء،

لابد من رفع الوعي بتداخل العلاقة بين هذه الجائحة - أو غيرها من الكوارث - والفقر والصحة والمناخ وتدهور البيئة ونمو السكان وغيرها. فالمسؤولية الإنسانية والأخلاقية هي معيار العمل يداً بيد خلال المرحلة المقبلة، من أجل زيادة الوعي وتعزيز القيم الأساسية التي تشكل جوهر إنسانيتنا، لننتقل من الأنا إلى النحن إلى النحنوية.

واقول هنا أن الشعوب وبني البشر قد تريد العيش معاً، والعمل معاً على خير العروبة والاسلام والإنسانية جمعاء والتصدي لمشكلاتنا، لأننا نعيش إخوة في عالم واحد. وهنا أليس علينا أن نحافظ على الحياة، وأن نعتبر قيمة الحياة هي أولى الأسس للحديث عن الكرامة الإنسانية والأمن الإنساني؟ علينا، نحن البشر، أن نرتب شؤوننا على هذا الكوكب حتى نضمن استدامة الحياة الكريمة للجميع.

والسؤال هنا كيف نؤكد أن مستقبلنا لا يعتمد فقط على مجرد اكتشاف الحلول العلمية لمشكلاتنا فقط، بل يعتمد أيضاً على اتفاقنا بأن التطور العلمي يجب أن يُوجه من أجل خير البشرية ورفاهها والذي يجب أن يكون أساس جهود التنمية.

من المهم اليوم أن نفهم الثورة الصامتة ذات الأبعاد الهائلة التي تحصل الآن في العلاقة بين البشرية والطبيعة. وقد حذرنا في تقرير "الهيئة المستقلة الخاصة بالقضايا الإنسانية في العالم" في مطلع الثمانينات أن التنوع الطبيعي بالنسبة للمحاصيل الزراعية على سبيل المثال حل محله التنوع الصناعي في المختبرات وحقول التجارب التي تخضع لاعتبارات المردود والأرباح على المدى القصير. وإن أردنا ان نتحدث- من خلال هذه المنصات -عن مستقبل البشرية دعونا نتحدث عن الحكمة الانسانية التي يجب أن لا تتخلف عن المعرفة الإنسانية. أتحدث هنا عن "cogito-sphere" (عالم الحكمة)، لا نتحدث فقط عن الـ "info-sphere" (عالم المعلوماتية) ولكننا نتحدث عن حقيقة الترويع الذي ينتظرنا إذا لم نفعل، نعم نتحدث عن الترويع terror أو الارهاب كأنما الارهاب موضوعي في كل جزء من العالم. لا، أقول أن الترويع الحقيقي هو إشارة إلى الأرقام التي تحدثت عنها، لا بل أسنة هذه الأرقام.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أنه قبل الوباء، في عام 2014، حذرت منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة: "إن أنظمة إنتاج وتوزيع الغذاء الحالية تفشل في إطعام العالم". وهذا تصريح يجب أن يؤخذ على محمل الجد.

أخوتي،

هل نستطيع العمل على تحقيق المصالحة بين الإنسان ونفسه، وبين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان والطبيعة، من خلال تعميق الشعور بمسؤولية الإنسان تجاه البيئة وحمايتها، والتقليل من التلوث بأنواعه، ومن سائر أنواع التعدادات، هذا فضلا عن ترشيد استخدام الموارد الطبيعية، والعمل على تحقيق التوازن والانسجام بين متطلبات المدنية المعاصرة والحفاظ على الحياة الطبيعية، وتعزيز المسؤولية المؤسسية للعمل على زيادة الإنفاق على البحث العلمي النافع لكرامة الإنسان.

ربما نحن مأسسنا الحرب وعلينا أن ننظر اليوم إلى مأسسة السلم؛ لربما نحن بحاجة إلى وضع دستور خاص للسلوك يشمل كافة النواحي القانونية والإدارية والمالية والاجرائية من أجل تنظيم إدارة الكوارث ويجب أن يكون حجر الأساس في ذلك الدستور أن المعايير الإنسانية يجب أن تغطي خلال الكوارث على أية معوقات سياسية أو ذات صلة بالسيادة.

أيها السيدات والسادة،

في ذكرى مرور أكثر من 100 عام على النهضة الفكرية الاسلامية والعربية الحديثة، نحن بحاجة اليوم إلى مدرسة تكوينية جديدة تبحث عن خطاب النهضة وقيمتها، وتفعيل الإرادة العربية بالتشاور مع الآخر فضلا من مواجهة الآخر. كل اقليم من أقاليم العالم - في منطقتنا جنوب غرب آسيا على سبيل المثال- مطالب بتقديم آراء صائبة ومؤثرة وأصيلة من الإقليم إلى المركز في نيويورك أو جنيف أو ما شابه فضلا عن العكس. علينا أن نُؤثر ونُخرج من دائرة التأثير.

تتحدث الدكتورة ايفيلين ليندر في كتابها "من المذلة إلى الكرامة: من أجل مستقبل من التضامن العالمي" -وفي مقالات لاحقة- عن فرص ضمن المعاناة وتقول "إننا ونحن نراقب هذا التفشي المؤلم لجائحة كورونا يحدونا الأمل في أن نتحد عالميا في تنوعنا المحلي؛ (فكر عالميا وافعل محليا واقليميا). وهنا نتحدث عن رؤية؛ رؤية إصدار "إعلان عالمي للهشاشة". وتضيف: "أتساءل كيف يجب العمل لنواجه بقوة كل ما يُهدِّدها، لأنَّ ما يهدِّد الواحد أو الجهة أو المجال، يهددنا بالضرورة جميعاً".

ولعل من أبرز مشكلاتنا الحضارية الراهنة النظرة العالمية إلى إنساننا وديننا الحنيف، التي لا تُنصف لأننا لا نُنصف أنفسنا. وأقول في هذا المجال لم نياس، ونريد التجديد والإصلاح في مفاهيمنا، وفي رؤيتنا للعالم، وفي تعاملنا مع الآخر الديني، والآخر الإنساني.

ختاما أيها الأخوة؛

عشية عيد الفطر السعيد، نجد أنفسنا مضطرين بسبب "كورونا" لكسر كل تقاليدنا وعاداتنا والتهنئة بالعيد "عن بُعد"، كما فرضت علينا هذه الجائحة تباعداً اجتماعياً

وروحيا خلال شهر رمضان وهو الموسم السنوي للتقارب والتواصل والرحمة. كل عام وأنتم جميعاً – أصدقائي وأخواني – بخير وسلام ورحمة، وأخص بالتهنئة المناضلين الذين يضحون في سبيل خدمة الإنسانية في هذه الأوقات الصعبة وغير العادية والاستثنائية، والامتنان الكبير، بشكل خاص، لأولئك الأبطال الحقيقيين الموجودين على الخط الأمامي في المعركة، أطباء وممرضين وعلماء، للانتصار على الوباء.

بهذه الكلمات أشكركم جميعاً وأسلم عليكم.